الباب الثالث

لمحة عن سورة البقرة

أ. مفهوم سورة البقرة

سورة البقرة أطوال سورة في القرآن عدد آياتها تبلغ إلى ٢٨٦ وهي مدنية. سمية هذه السورة "سورة البقرة" لاشتمالها من قصة البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها.[٢٥] وقد تناولت الآيات في البدئ الحديث عن صفات المؤمنين والكافرين والمنافقين فوضحت حقيقة الإيمان وحقيقة تكفر والنفاق للمقارنة بين أهل السعادة وأهل الشقاء.[٢٦] ثم تحدثت عن بدء الخليقة فذكرت قصة أبى البشر "آدم

[٢٥] وهبة الزحيلي، *التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج المجلد الأول* (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٩م)، ص. ٧٥.

[٢٦] محمّد علي الصابوني، *صفوة التفاسير المجلّد الأول* (بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨١م)، ص. ٢٩.

السلام" ثم تناولت من أهل الكتاب وبوجه خاص بني إسرائيل "اليهود".[٢٧]

الأخر، اشتملت هذه السورة الكريمة على معظم الأحكام الشريعة فى العقائد والعبادات والمعاملات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والجهاد في سبيل الله وتنظيم أحكام القتال واعتماد الأشهر القمرية في التقيت الديني والإنفاق في سبيل الله، لأنه وسيلة للوقاية من الهلاك، والوصية للوالدين والأقربين، وبيان مستحقي النفقات، ومعاملة اليتامى ومخالطتخم في المعيشة، وتنظيم شؤون الأسرة في الزواج والطلاق والرضاع والعدة، والإيلاء من النساء، وعدم المؤاخدة بيمين اللغو، وتحريم السحر والقتل بغير حق وإيجاب القصاص في القتل، وتحريم أكل أموال الناس بالباطل، وتحريم الخمر والميسر والربا،

[٢٧] الصابوني، ص. ٢٩.

وإتيان النساء في المحيض وفي غير مكان الحرث، وإنجاب النسل، أي في الدبر.[٢٨]

وتضمت السورة آية عظيمة في العقيدة والأسرار الإلهية، وهي آية الكرسي، وحذرت من يوم القيامة الرهيب في آخر ما نزل من القرآن، وهي آية "وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُوْنَ فِيْهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُوْنَ (البقرة: ٢٨١).[٢٩]

وختمت السورة بالتذكير بالتوبة والإنابة إلى الله، وبالدعاء العظيم مشتمل على طلب اليسر والسحامة، ورفع الحرج والأغلال والآصار، وطلب النصرة على الكفار.[٣٠] وهي آية رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَآ إِنْ نَّسِيْنَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَ حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنْتَ مَوْلنَا فَانْصُرْنَا

---

[٢٨] وهبة الزحيلي، *التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج المجلد الأول* (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٩م)، ص. ٧٤.

[٢٩] الزحيلي، ص. ٧٤.

[٣٠] الزحيلي، ص. ٧٤.

عَلَى الْقَوْمِ الْكٰفِرِيْنَ (البقرة: ٢٨٦). وهذه السورة تملك الفضيلة: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة" أخرجه مسلم والترمذي. وقال النبي صلى الله عليه وسلم "اقرؤوا سورة البقرة، فإن لؤار بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة" يعنى السحرة. رواه مسلم في صحيحة.[٣١] من أجل ذلك، المسلمون والمسلمات يقرؤون سورة البقرة في آية الظيم تعنى آية الكرسي وآيتين الخاتمة من سورة البقرة بعد صلاة الفرض وقبل نوم.

تشتمل هذه السورة على مقاصد عظيمة، منها مايأتى:

١. التنوية بشأن الكتاب العزيز، الذى هو أصل التشريع السماوى، وأساس القانون الإسلامى. {ذٰلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيْهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِيْنَ (٢)}

[٣١] محمّد علي الصابوني، *صفوة التفاسير المجلّد الأول* (بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨١م)، ص. ٣٠.

٢. بيان أحوال الناس من الدعوة الإسلامية، وهم فرق ثلاثة:

أ. فرقة المؤمنين الصادقين: {الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيْمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولئِكَ عَلَى هُدًى مِّنْ رَّبِّهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ (٥)}.

ب. فرقة الكافرين المشركين: {إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُوْنَ (٦)}.

ج. فرقة المنافقين، وهم أضر أعداء الدّين: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُوْلُ ءَامَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِيْنَ (٨)}.

وقد عنى القرآن بأوصافهم وأحوالهم فى ثلاث عشرة آية.

٣. تذكير الطوائف الثلاث، بنعمة الخلق لعلهم يعتبرون، فيستمسكوا بالعروة الوثقى: {يأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ (٢١)}.

٤. توجيه التحدى لمن أنكر معجزة القرآن: {وَإِن كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّن مِثْلِهِ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُوْنِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ (٢٣)}.

٥. بيان الدلائل الكونية المقرونة بالنعم الإلهية، لإقناع الخلق بالبعث والمعاد: {هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِى الْأَرْضِ جَمِيْعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىءٍ عَلِيْمٌ (٢٩)}.

٦. عناية الله تعالى بخلافة البشر فى لأرض، إذ جعل أول خليفة فيها آدم-عليع السلام- وخلقه وأبناءه ليعبدوه، ويعمروا الأرض، كما قال جل شأنه: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيْفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيءهَا...} الآيات (٣٠). وما بعدها.

٧. القصص القرآنى فيما يتصل بنفع الإيمان، وضرر الكفر، وخداع المنافقين، وأثر ذلك فى المجتمعات التى بعث الأنبياء لإصلاحها.

٨. عناية القرآن بذكر قصص بنى إسرائيل، لأنهم أكثر الأمم نعمًا، وأشدهم عصيانًا وكفرًا: {يَابَنِي إِسْرَائِيْلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ، وَأَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠)}.

٩. قصة موسى-عليه السلام- مع بنى إسرائيل فى شأن البقرة التى سميت السورة باسمها: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً...) الآية (٦٧).

١٠. قصص الرسل مع أممهم من بعد موسى، لبيان ما تحملوه فى سبيل الدعوة إلى الله: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوْحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُوْلٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ...) الآية (٨٧).[٣٢]

ب. محتويات في سورة البقرة

[٣٢] لجنة من العلماء، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم* (الأزهر: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، جزء. ١، ص. ٢٤–٢٧.

هذه السورة مترامية أطرافها، وأساليبها ذات أفنان. قد جمعت من وشائج أغراض السور ما كان مصدقا لتلقيبها فسطاط القرآن. فلا تستطيع إحصاء محتوياتها بحسبان، وعلى الناظر أن يترقب تفاصيل منها فيما يأتى لنا من تفسيرها، ولكن هذا لا يحجم بنا عن التعرض إلى لائحات منها، وقد حيكت بنسج المناسبات والاعتبارات البلاغية من لحمة محكمة فى نظم الكلام، وسدى متين من فصاحة الكلمات.[٣٣]

سورة البقرة تملك عدة الموضوعات ولكن تستنتج الباحثة إلى ٦ الموضوعات:

صفات الناس، صفات الناس في سورة البقرة تنقسم إلى ٣ أقسام: المؤمنون والكافرون والمنافقون. المؤمنون يؤمنون بالله ويقيمون

[٣٣] لشيخ محمد الطّاهر، *تفسير التّحرير والتّنوير* (تونس: الدّار التونيّة للنشر، ١٩٨٤م)، جزء. ١، ص. ٢٠٣.

الصلاة ويؤتون الزكاة ويشيدون دين الله.[٣٤] والكافرون في هذه السورة فدلّ تعبير الختم والطبع على القلوب والأسماع والأبصار على تمكن الكفر في قلوبهم، حتى فقدوا الدواعي والأسباب التي ترشدهم إلى النظر والتفكر في أدلّة الإيمان ومحاسنة، وأصبحوا في هيئة أو عادة تألف الجحود والعصيان.[٣٥] والمنافقون مخادعة الله، والخديعة مذمومة، والإفساد في الأرض بإثارة الفتنة والتأليب على المسلمين، والإعراض عن الإيمان والاعتقاد الصحيح المستقر في القلب.[٣٦]

قصص النبي والصالحين وغير الصالحين السابقين: قصص النبي والصالحين وغير الصالحين السابقين في سورة البقررة: قصة آدم عليه السلام، وقصة موسى وبني إسرائيل، وقصة إبراهيم عليه السلام،

---

[٣٤] وهبة الزحيلي، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المجلد الأول* (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٩م)، ص. ٨٠.

[٣٥] وهبة الزحيلي, *التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج المجلد الأول* (دمشق: دار الفكر, ٢٠٠٩), ٨٣.

[٣٦] وهبة الزحيلي، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المجلد الأول* (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٩م)، ص. ٩٥.

وقصة طالوت وجالوت، وقصة هاروت وماروت.[٣٧] **التوحيد وقدرة الله:** خلق الإنسان وخلق السموات والأرض وإماتته. الشريعة تضمّ على العبادة (الصلاة، والزكاة، وصوم رمضان، والحج)، والجناية، والأسرة (الزواج، والطلاق، والوصية، والمحيض، والعدة).[٣٨] **والقتال في سبيل الله، والمعاملات** (إنفاق في سبيل الله وتحرم الربا).[٣٩]

ج. أسباب النزول في سورة البقرة

أخرج الفريابى وابن جرير عن مجاهد قال أربع آيات من اول البقرة نزلت فى المؤمنين وآيتان فى الكافرين وثلاث عشرة آية فى المنافقين. وأخرج ابن جرير من طريق ابن اسحق عن محمد بن أبي

---

[٣٧] وهبة الزحيلي، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المجلد الأول* (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٩م)، ص. ٧٩١.

[٣٨] الصابوني، *صفوة التفاسير المجلّد الأول*، ١٩٨١م، ص. ٣٠.

[٣٩] وهبة الزحيلي، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المجلد الأول* (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٩م)، ص. ٥٤١.

عكرمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله ان الذين كفروا الآيتين انهما نزلنا فى يهود المدينة.[٤٠]

ولقد أثر حديث عن زيد بن ثابت(رضي الله عنه) أخرجه الحاكم ووصف بأنه بسند صحيح على شرط الشيخين – وزيد هو الذي تولّى عمل تدوين المصحف بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم والذي كان من كتّاب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم – جاء فيه (كنا نؤلف القرآن من الرقاع) وقد علق البيهقي على ذلك بقوله: يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي صلى الله عليه وسلم. مما فيه توضيح لما قلناه في صدد تأليف فصول هذه السورة بعد أن تكمل نزولها في ظروف متباعدة. وهذا يصدق على كل السور المدنية الطويلة على ما سوف ننبه عليه في مناسباتها، حيث يبدو أن ظروف العهد المدني كانت تقتضي أن تدون

[٤٠] المحلى والسيوطى، *تفسير القرآن الكريم* (سورابايا: حاريسما، ٢٠١٤م)، ص. ٨.

فصول القرآن النازلة فيه متفرقة لأنها مواضيع متنوعة نزلت في مناسبات مختلفة ثم تؤلف السور منها.

وطابع البدء والختام على مطلع سورة البقرة وخاتمتها بارز حتى ليسوغ القول إنهما وضعا ليكونا كالإطار للسورة. ولعل الفصل الأول من السورة كان أول فصول السورة نزولاً في المدينة وأول فصول القرآن المدني نزولاً، مما قد يلهمه مضمونه فاعتبرت السورة من أجل ذلك في ترتيب النزول كأولى السور المدنية نزولاً مثل سورة العلق التي اعتبرت في ترتيب النزول كأولى سور القرآن المكي نزولاً لأن آياتها الخمس الأولى دون بقيتها هي أول القرآن نزولاً.

ولقد أثر حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم جاء فيه: (أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش) وحديث آخر جاء فيه: (إنّ ملكا نزل من السماء فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبيّ قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة

البقرة. لن تقرأ منهما حرفا إلاّ أو تيته) حيث يدل هذا دلالة قوية بل قاطعة على أن هذه السورة قد تمّ تأليفها على الوجه الذي ورد في المصحف في حيات اللنبي صلى الله عليه وسلم وهو ما نعتقده بالنسبة لسائر السور الطويلة المدنية التي فيها فصول مختلفة المواضيع نزلت في ظروف مختلفة ومتباعدة.[٤١]

د. سيمات لغوية في سورة البقرة

(ألم) الألفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التى من جملتها المقطعات المرقومة فى فواتح السور الكريمة أسماء لها، لاندراجها تحت حد الاسم، ويشهد به ما يعتريها من التعريف والتنكير والجمع والتصغير وغير ذلك، من خصائص الاسم، وقد نص على ذلك أساطين أئمة

[٤١] محمّد عزّة دروزة، *التفسير الحديث ترتيب السّور حسب النّزول الجزء السّادس* (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢١م)، ص. ١٢٤–١٢٥.

العربية، وما وقع فى عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة.[٤٢]

(ريب) الرّيب: الشك وعدم الطمأنينة يقال: ارتاب، وأمر مريب إذا كان فيه شك وريبة قال الزمخشري: الريب مصدر رابه إذا أحدث له الريبة وهي قلق النفس واضطرابها، ومنه ريب الزمان لنوائبه (المتقين) أصل التقوى مأخوذ من اتقاء المكروه بما تجعله حاجزا بينك وبينه قال النابغة: (سقط النّصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتّقتنا باليد). فالمتقي هو الذي يقي نفسه مما يضرها، وهو الذي يتقي عذاب الله بطاعته، وجماع التقوى أن يمتثل العبد الأوامر ويجتنب النواهي (الغيب) ما غاب عن الحواس، وكل شيء مستور فهو غيب كالجنة والنار، والحشر والنشر قال الراغب: الغيب ما لا يقع تحت الحواس.[٤٣]

---

[٤٢] عبد القادر أحمد عطا، *تفسير ابى السّعود* (الرياض: مكتبة الرياض الحديث، ١٩٩٧م)، ص. ٣٤.

[٤٣] محمّد علي الصّابوني، *صفوة التّفاسير* (بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨١م)، ص. ٣٠–٣١.

(خلقكم) الخلق: الإيجاد والاختراع بلا مثال، وأصله في اللغة التقدير يقال: خلق النعل إذا قدّرها وسوّاها بالمقياس، وخلق الأديم للسقاء إذا قدّره قال الحجاج ما خلقت إلا فريت، ولا وعدت إلا وفيت أي ما قدرت شيئا إلا أمضيته، ولا وعدت بشيء إلا وفيت به. (فراشا) الفراش: الوطاء والمهاد الذي يقعد عليه الإنسان وينام (بناء) البناء: ما يبنى من قبة أوخباء أوبيت (أندادا) جمع ندّ وهو الكفئ والمثيل والنظير ومنه قول علماء التوحيد ليس لله ندّ ولا ضدّ.[٤٤]

[٤٤] علي الصّابوني، ص ٤٠.